الحياة السورية

سياسية – ثقافية - نصف شهرية

سوريا بكرا
8 رفيق الحلو يُسأل سؤالاً محرجاً..

رح نبقى
11 ختام بنيان تكتب قصة معتقلة

على خارطة الحياة
15 البيضا... أرعبت القلب الأسود

وقمح..

بقلم عبد الرحمن مطر

العدد 3

العدد 50

ثورة المواطنة.. كيف نعيد صياغة الهوية في سوريا؟

الطائفية: العتبة الدامية !

بقلم عبدالرحمن مطر

الطائفية في أشد تجلياتها – حتى الآن - معمَّدةً بالمذابح، تعبرُ عتبةً غير مسبوقة، لكنها منظورة، من حيث قيمة الفعل الذي يحقق تأصيلاً في الإنقسام الاجتماعي السوري، في تمايز المعطيات التي تجعل من الوضع السوري، قد اتجه فعلياً نحو تجذير المسألة الطائفية، وليس الوصول اليها وتمثل أبعادها، فحسب.

ليست المجازر وحدها – على اطرادها - ما يعزز الفكرة والسلوك الطائفيين، بل إن الرؤية السياسية والاجتماعية التي تحكم اليوم النظرة الي الثورة السورية، وفي إطارها العام الأزمة السورية، لم تعد منفكةً عن إطلاق حكم القيمة دون أن تكون المسألة الطائفية زاوية ارتكاز أساسي، لكل الأطراف، بما فيها المجتمع الدولي الذي تمهل في استخدام تعبير " الثورة السورية "، ليسارع باستبدالها بعبارة "الحرب الأهلية" دلالة على مايحدث في سورية. الطائفية بوصفها معطى اجتماعي وسياسي في التكوينات الوطنية السورية، ظلّت مثل جمرةٍ خبيئةٍ تحت الرمال، في الوقت الذي ننكر فيه اتقادها الي درجةِ نسفِ وجودها بالمطلق، ولذلك أُخذنا بما يشبه عصف الريح ونحن مذهولين أمام آخر المجازر في بانياس وأخواتها. لكن المسألة تواترت مع انطلاقة الثورة قبل عامين، وارتكبت مجزرة الحولة كأول مدماك، أكد فيه النظام أن الثورة مقابل الخراب الوطني بأدوات طائفية.

كان النظام واضحاً في مساره الإجرامي، وهو يأخذ بـ "الفوضى الخلاّقة"، التي نظّر لها الجمهوريون الجدد مع احتلال العراق الي عدوان تموز 2006، ليصبح النظام جزءاً منها وشريكاً في إرسائها، ليذهب بعيداً عن " الأسد أو إحراق البلد "، نحو مبتغاه الذي تحقق بجرف الحالة السورية نحو مسلك الإبادة الإنسانية على أساس طائفي،عمل النظام على بنائها بدءاً بالعام 1966،حين أعاد تنظيم الجيش على أساس طائفي، فحصد السوريون هزيمة حزيران المرّة. لتليها مرحلة تمكين " طائفة سياسية وأمنية " حكمت الدولة والمجتمع السوري، عبر سياسة القمع والإقصاء والتهميش.

ساهم المجتمع السوري بمختلف أطيافه وانتماءاته، بتعزيز الحالة الطائفية، عبر نفيه لها كحالةٍ يزرع بذرةَ خطورتها النظام من جهة، وعبر الصمت عن الممارسات الممنهجة طوال مايزيد على أربعين عاماً من الخوف المتبادل بين الطائفتين العلوية والسنيّة بشكل خاص، تستحضر فيها أزمة الثمانينات. يضاف الي ذلك انعدام الثقة المركب في حالة تبادلية مع الخوف من مصائر مجهولة، تتربص إحداهما بوجودالأخرى بموجب ولاءات غير وطنية، مكتسباً بذلك استمرارية استبداده ..ولكن الي حين.

لقد نجح النظام في توظيف معطيات الحالة السورية، بكل مافيها من نزاعات وصراعات وتجاذبات وولاءات وتمحورات، داخلية واقليمية ودولية. وبدأ يقتطف ثمار سياسته الطائفية، التي يغذيها بشكل ممنهج محولاً طائفتة المذهبية الموصوفة بالسطوة الأمنية والإمتيازات السياسية والاستثمارية، من موالية الي جيش من الميليشيا التي تخدم مشروعاً تديره إيران، ومن ثمّ الي قتلة، يرتكبون المجازر وضح النهار وبتغطية لا لبس او مواربة فيها من النظام .. يسانده في ذلك المجتمع الدولي الذي يغذي الإنقسام الطائفي بدوره داخل الثورة، بما يخدم مصالحه الأساسية في سوريا، وفي المنطقة "الشرق – أوسطية" برمتها.

يبدو أننا عاجزون عن وقف الإنجرار نحو التخندق الطائفي والمذهبي والمناطقي، ولا أعتقد أن توقفنا عن أن نكون طائفيين سيكون كافياً، فالإعتراف بالحال الطائفية، وطرح كل شئ للنقاش العام، هو مهمة وطنية، لمواجهة التحديات الكبرى، واحتمالات المستقبل المجهول، والمجبول بذاكرة لاتمحى من صورة أدميين سوريين، أعمل فيهم الحقد الأعمى للنظام قتلاً وذبحاً وحرقاً، يندر حدوثه، ونحن في الألفية الثالثة .. أية حضارة إنسانية، هذه إذن !

الحياة السورية.. وطن لكل السوريين.
الأربعاء، 8 أيار – مايو، 2013
العدد الثالث | عدد الصفحات 16
محتويات العدد تعبر عن رأي أصحابها.

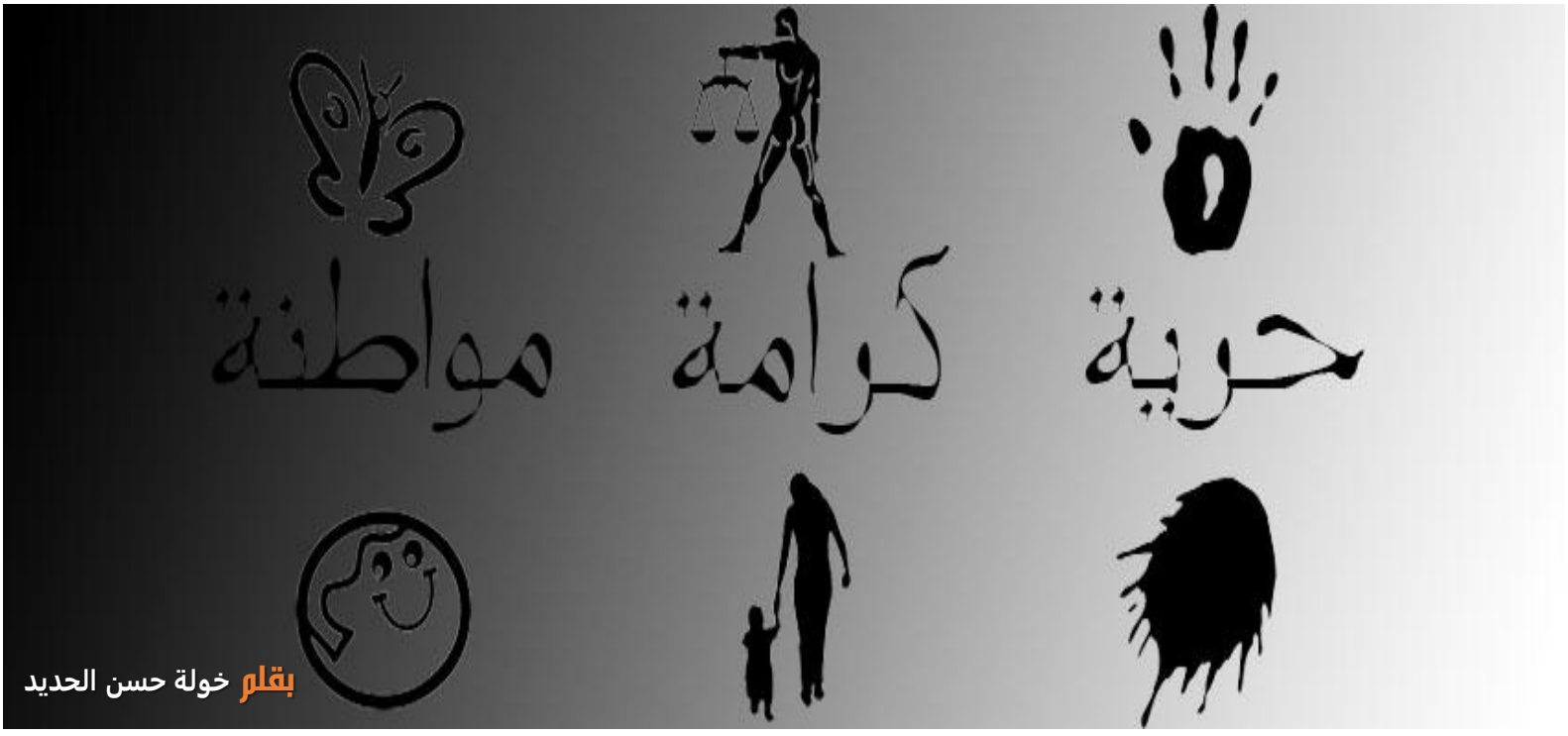

بقلم خولة حسن الحديد

ثورة المواطنة..

كيف نعيد صياغة الهوية في سوريا؟؟..

يعتبر سؤال الهوية من أهم الأسئلة المعبرة عن عناصر الوجود التاريخي و الاجتماعي لشعب من الشعوب، لأنه يبحث في المنظومات الاجتماعية والتاريخية والسياسية و الاقتصادية، بما تحتويه كل منظومة من قيم ومبادئ و أنساق ثقافية ذات عمق تاريخي تشكل بمجملها وجوده الحضاري. والهوية بهذا المعنى ليست مجرد مسألة ثقافية، ولا معطى تاريخي ثابت و معزول. وإنّما هي تعبير عن مختلف التشكيلات المعرفية الثقافية، والاجتماعية، والسياسية وحتى البنى الاقتصادية لمجتمع من المجتمعات. والتي تنصهر بمجملها في صورة ذهنية يكونها الفرد عن نفسه وعن الآخر، وتصبح محركاً أساسياً للتعبير عن نفسه و لضبط علاقته بالآخر. أثبتت أحداث الثورة السورية و خلال كل ما مرت به من إرهاصات و تشابكات معقدة خلال العشرين شهر الماضية، أنّ سؤال الهوية مطروحاً على السوريين بطريقة ملحة. وهذا السؤال الذي تهربت غالبية الكتل السياسية المعارضة من الإجابة عنه من خلال عدم طرحها لخطاب سياسي واضح المعالم تجاه كل المظاهر والقضايا التي ظهرت كتعبير عن الهويات الفرعية الموجودة في المجتمع السوري كالهويات القومية (الأكراد والتركمان والجركس) أو الهويات الدينية – الطائفية. وكان الخطاب المذكور في غالبته يتمترس خلف تبنيه لقيم التسامح وتجنب الحديث المباشر عن الشروخ الكبيرة والهوة التي خلقها النظام خلال عقود بين مكونات المجتمع السوري. وبرزت بشكل جلي خلال الثورة عبر تغذيته لها و استغلالها لضرب الثورة، وطرح نفسه الحامي الوحيد لوحدة سوريا الوطنية. فكان لابدّ للمعارضة السورية والنخب الثقافية والسياسية البحث في الإشكالات التي تمسُّ الهوية السورية وطرح خطاب واضح تجاهها، والعمل على صياغة هوية جامعة لا تتنكر للهويات الفرعية وإنّما تدمج من خلال التأكيد على المشترك فيما بينها وصولاً إلى قيام دولة المواطنة التي يتساوى فيها الجميع أما القانون الذي يكفل تحقيقي العدالة الاجتماعية والسياسية.

ثورة المواطنة.. كيف نعيد صياغة الهوية في سوريا؟؟..

الهوية السورية والطائفية

إن بروز الموضوعة الطائفية إلى الواجهة ومحاولة القفز عليها من خلال الشعارات والبيانات الإعلامية بات أمر غير مجدي، ولا يمكن تجاوزه بهذه البساطة. ولا شك أن النظام قد اتبع منذ بداية الثورة استراتيجية "فرق تسد" ونجح إلى حد كبير في استقطاب الطائفة العلوية وتخويفها، وتمترس خلفها، وأشاع جو من الاحتقان عندما اعتمد بشكل أساسي على عدد من أبنائها في قمع المتظاهرين عبر التنكيل بأهالي المناطق الثائرة والذي أنتج ردة فعل طبيعية تجاه ذلك. ما أدى إلى أن تكبر ردة الفعل وتتأكّد عند الربط بين هذا الاستقطاب وبين الهيكلية المعروفة لأجهزة الأمن والقيادات العسكرية التي تمّ تكريسها خلال عقود بيد أفراد من الطائفة العلوية. هؤلاء كانوا رأس الحربة في مواجهة النظام للسوريين الثائرين، إلا أن الحديث عن الموضوعة الطائفية لا يمكن أن يتم بهذه البساطة ويجب على جميع النخب الثقافية والسياسية والباحثين في علم الاجتماع والتاريخ تفكيك هذه الحالة ووضعها في سياقها التاريخي ودراسة الظروف التي أنتجتها، وطرح الحلول البديلة لتهمشيها وتجاوزها. فالاحتقان من الطائفة العلوية ليس فقط من قبل "السنة" في سوريا، وإنما يوجد احتقان كبير أيضاً لدى أبناء الطائفة الاسماعيلية الذين تعرضوا للتهميش فترة طويلة في مناطقهم المختلطة والمتجاورة مع العلويين وسجلت خلال العقدين الأخيرين الكثير من الأحداث ذات الصبغة الطائفية والتي لم يتكلم عنها أحد وألحقت الظلم والضيم بأبناء الطائفة الاسماعيلية. وزاد من هذا الاحتقان التحاق الاسماعيليين بركب الثورة السورية منذ بداية انطلاقتها، ومن ثم تعرضهم للملاحقة والسجن والاعتقال و"التشبيح" من قبل الموالين للنظام في مناطقهم، وكل هذا الاحتقان الذي بقي يغلي في مرجل على نار هادئة سينفجر عاجلاً أم آجلاً إذا لم يتم تفكيك أسبابه، وإزالتها وإعادة الحقوق لأصحابها، ووقف انتهاك الكرامات وإزالة أي تمييز بين الناس على قاعدة الانتماء الطائفي.

وتتجاوز الموضوعة الطائفية مسألة الطائفة العلوية والإسماعيلية لتطال باقي الطوائف أيضاً (من الدروز والمسيحيين). والذين حاول النظام تخويفهم من المظهر الإسلامي للثورة، وعمله على خلق الفتن بين أهالي مدينتي درعا والسويداء. وبين المسلمين والمسيحيين في مختلف الأماكن ليطرح نفسه حامياً لما اصطلح تسميته "الأقليات" من "الأكثرية". وليزيد هذ الخطاب الذي يتداوله السوريون لأول مرة في حياتهم من الاحتقان تجاه بعضهم البعض.

فالأكثرية التي تتلقى مختلف أنواع الظلم والتنكيل وتتعرض للقتل اليومي خلال حوالي سنتين من الزمن، وتعرضت مناطقها للدمار، بات عليها في ظل كل ما نالها أن تقدم ضمانات وتطمينات لما يسمى "بالأقليات". وبالرغم من كل الشعارات التي رفعتها الثورة مثل (واحد واحد الشعب السوري واحد – ولا للطائفية)، ومن خلال تسمية أيام جُمع الثورة بأسماء تدل على التسامح وأن الثورة لجميع السوريين مثل "الجمعة العظيمة، وجمعة آزادي، وجمعة صالح العلي". إلا أن ذلك كله لم يكن ليطمئن أحد أمام الخطاب اليومي الذي كان يجترّه النظام وتساعده وتؤكّد عليه وسائل الإعلام العربية والغربية، وحتى الخطاب السياسي لغالبية الحكومات الغربية. وبذلك وضع أبناء "السنة" في سوريا أمام اختبار صعب، هو اختبار وطني بامتياز، لأنه رغم ما نالهم من ضيم، بات عليهم هم وحدهم إثبات قدرتهم على حماية سوريا من الانزلاق إلى حرب طائفية والحفاظ على وحدتها الوطنية. وبما أن "السنة" لم يكن مشروعهم في سوريا يوماً مشروعاً طائفياً، فإنّه ينبغي أيضاً على النخب السياسية والاجتماعية والثقافية توضيح هذا المشروع الوطني الجامع، والذي طالما طرح نفسه كمشروع لأمة وشعب وليس مشروع لطائفة. وضمن هذا السياق لا يمكن تجاهل الصعود المتنامي للتيارات السياسية الإسلامية، ولا يمكن تجاهل المظاهر الإسلامية التي صبغت الثورة الشعبية في سوريا، والتي جعلت من "المساجد" أول مكان خرجت منه، ولكن كل هذه المظاهر لم تكن لتستبعد أحداً أو تستثني أحداً من السوريين، ورفعت شعارات وطنية جامعة. كما لا يمكن القفز أيضاً فوق الأسباب والظروف التي جعلت هذه المظاهر تعم بشكل كبير وتظهر بشكل مبالغ فيه أحياناً، كرد فعل طبيعي على تهميش الدين الإسلامي وإلغائه خلال عقود من الهوية السورية. وهي استراتيجية بعيدة المدى اتبعها النظام وشهدت تواطؤ من النخب الثقافية العلمانية والليبرالية التي كانت تخشى من الدين على مفاهيم الحداثة التي تبنتها بطابعها الغربي كما هو، ومحاولة إلباسها لمجتمعنا والتي فشلت فشلاً ذريعاً أمام أول اختبار. كما أن استهداف النظام لرموز الدين الإسلامي وقصف المساجد وإهانة المصلين وإهانة القرآن الكريم يقابله بذات الوقت ابتعاد القوى العلمانية والليبرالية أو تأخر فئات عديدة منها عن الالتحاق بالثورة، ولّد شعوراً كبيراً لدى الثائرين بأنهم مستهدفون في عقيدتهم، وأن الجميع يسكت ويتواطىء عليهم بسبب عقيدتهم. مما أدى لزيادة تمسكهم بها، والمبالغة في إظهارها من خلال الشعارات أو أسماء الكتائب المسلحة. وغيرها من مظاهر أدّت بالنهاية إلى فسح المجال أمام وجود فئات متطرفة تطرح طروحات لا تتبناها الثورة السورية، ولم تكن بين أهدافها. وغالبيتها طروحات مدعومة من الخارج وتتكىء على الحامل الاجتماعي والثقافي، وما ولّدته ظروف الواقع الآني في الداخل السوري.

الهوية السورية والقضية الكردية

ومثلما تمّ طرح الموضوعة الطائفية. لا يمكن الحديث عن الهوية السورية، دون تناول القضية الكردية. وليس خافياً على أحد ما مرت به علاقة الكرد بالعرب السوريين خلال الثورة من تقلبات وإشكالات. بدءاً من رفع العلم الكردي في المناطق ذات الغالبية الكردية دون علم الثورة أحياناً. وصولاً إلى انحياز فئة من الكرد إلى النظام وهم الممثلون بحزب العمال الكردستاني وجناحه السياسي "الباييد" ومشاركته أحياناً في قمع المتظاهرين. إضافة إلى حدوث إشكالات عديدة بخصوص دخول الجيش الحر إلى المناطق ذات الغالبية الكردية أو المختلطة عرقياً. وأدّى انسحاب الكرد من كل تكتل سياسي سوري معارض يسعى إلى التوحد إلى حدوث شرخ بينهم وبين العرب الذين كانوا يشعرون بتعرضهم للابتزاز عندما يضع الكرد شروطهم المسبقة قبل المشاركة في كل تجمع، وتفرد الكرد بمجلس وطني رديف للمجلس الوطني السوري سمي "بالمجلس الوطني الكردي"، وإطلاق اسم كردستان الغربية على المناطق التي يشكلون فيها غالبية. إضافة إلى تأسيس برلمان كردي وارتباطه بكردستان العراق بشكل كان واضح ومعلن، ومطالبتهم بالفيدرالية دون الأخذ بعين الاعتبار باقي مكونات الشعب السوري في تلك المناطق، أو مراعاة الظروف التي يمرّ بها السوريون. كل هذه التصرفات أثارت شكوك وحساسية العرب وزادت من الشرخ بينهم وبين الكرد.

ثورة المواطنة.. كيف نعيد صياغة الهوية في سوريا؟؟..

كما عمقت حالة الانقسام القائمة أساساً، والتي كان للنظام اليد الطولى فيها. النظام الذي حرم الكرد من حقوقهم كمواطنين لعقود وصادر أراضي بعضهم ووزعها على بعض العشائر العربية، وجردهم من كافة حقوقهم الثقافية. ولذلك كان الكرد بغالبيتهم شعبياً مع الثورة منذ بداياتها. إلا أن فشل النخب الساسية السورية العربية والكردية منها بطرح خطاب واضح يضع النقاط على الحروف ويتبنى مطالب الكرد بإعادة ما استلب لهم من حقوق. ومن ثم الوعد بشكل الدولة القادمة حسب ما يقرره السوريون لاحقاً يكون الكرد جزء أصيل منهم. هذا الفشل أدى إلى عزلة البعض وزادَ من الحساسيات القائمة أساساً، فكان المعارضون العرب يؤجلون طرح القضية الكردية، والكرد ينسحبون لأن مطالبهم لم تتحقق. وهم يدركون تماماً أنهم يطلبون تلك المطالب من الطرف الخطأ. حيث لا يمكن لأي جهة معارضة الآن أن تبت في قضية أساسية من القضايا السورية بدون الرجوع للمؤسسات المعبرة عن الشعب والغائبة حالياً. في حين على الأرض كان كل طرفٍ يحاول خلق واقع يتناسب مع هاجسه من الآخر ويخدم رؤيته في المستقبل، ومن ثم يستتبع ذلك بكل الوسائل السياسية والإعلامية والدبلوماسية الممكنة. لنصل في نهاية المطاف إلى أن بقاء هذا الصراع هو أحد الأسباب الهامة التي ساهمت في تأخير انتصارالثورة السورية.

كيف نعيد صياغة الهوية السورية؟؟

من خلال السرد السابق. يتبين لنا أن مسألة الهوية السورية من القضايا الحاسمة بالنسبة للثورة السورية، وتأخُّر طرح مفهوم الهوية الوطنية الجامعة والعمل على تكريسها بالفعل والسلوك والخطاب السياسي والإعلامي. يضاف لهم ظهور الخطاب الطائفي والشعبوي – العصبوي كان من الأسباب الرئيسية لتأخر الحسم فيما يتعلق بالثورة، وهنا أيضاً وأما ما تمّ تشريحه سابقاً، ما الذي ينبغي علينا فعله من أجل إعادة صياغة الهوية السورية الوطنية؟؟

لاشك أن الانقسامات القائمة الآن عليها أن تدفع بالسوريين إلى الكشف والتأكيد على الخاصية الأساسية التي يجب أن تميز الهوية السورية، والصورة التي يمكن أن تكون عليها في المستقبل، وكيف يعبر السوري عن هويته.

إنّ الهوية السورية التي ينبغي أن يعبّر عنها ويضطلع بها السوري، هي الهوية المنبثقة من الجماهير، من الشعب الذي خرج إلى الشوارع مؤكّداً على نفسه وحقوقه وقدرته على الفعل. تنطلق ثوابت هذه الهوية من الشعارات التي رفعتها تلك الجماهير منذ أول خروج لها. والتي تلخصت في الحرية والكرامة والديمقراطية، وحق الشعب في المشاركة السياسية ونيل حقوقه كاملة على كافة الصعد،وإلغاء التمييز بين المواطنين على خلفية طائفية، والكف عن منح امتيازا لفئة دون أخرى من فئات الشعب السوري.

تلك هي الهوية السورية المنبثقة عن الثورة. وليست تلك الهوية التي ترسمها النخب الثقافية والسياسية والتي تخضع لرؤاهم ومصالحهم وأجنداتهم.هذه النخب ذاتها هي من ساهمت في تمييع هوية الشعب السوري وتفككها من خلال موقفها من السلطة الحاكمة، وصمتها حيناً وتواطئها معها حيناً لتغييب هوية الشعب، والسكوت على إبراز هويات أخرى من خلال الولاءات والتمييز الذي كان يحصل لفئة على حساب فئة أخرى من منطلق طائفي حيناً وعرقي-قومي حيناً آخر. لذلك يجب على هذه النخب الاعتراف بأن الإسلام جزء أساسي من الهوية السورية وليس حالة طارئة، وهذا لا يلغ وجود الدين المسيحي ولا التنوع الطائفي للسوريين.

وبنفس الوقت على التيارات السياسية الإسلامية طرح رؤى تنويرية تتناسب مع العصر ومع الحالة السورية الراهنة ببعدها التاريخي حيث المكون المسيحي والتنوع الطائفي جزء أصيل وثابت من الوجود السوري. وعلى جميع السوريين المعنيين بصياغة الهوية السورية التي ينبغي أن يعبّر عنها السوري بعد الثورة أن يعمدوا إلى تفكيك الأنساق الثقافية السائدة، والتي يتم التعامل معها على أنها أنساق ثابته وجامدة. فالعلويين ليسوا لون واحد وكتلة بشرية واحدة، وليس كلهم أبناء السلطة. وبينهم من عانى مثله مثل باقي السوريون، وليس جميعهم " شبيحة". فكل من ارتكب جريمة سيحاسب سواء كان منهم أو من غيرهم مهما بلغ العدد والنسبة.

المسلمون السنة أيضاً ليسوا كلهم متطرفين ويريدون إلغاء الآخرين كما أنهم ليسوا كتلة بشرية ثابتة ولا لون ورؤية واحدة لهم. والعرب ليسوا كلهم من ظلمَ الكرد. وقد طال بعض منهم من الظلم مثلما طال الكرد وربما أكثر. فأرض الكرد التاريخية كما يسمونها هي أرض السريان أيضاً وأرض العرب وأرض أبناء كل الحضارات التي مرت على تلك المنطقة. ليس الكرد انفصاليين كلهم ومنهم كثر من يفضلون العربي السوري. وهم أقرب إليه من الكردي التركي.

العربي الذي أسكنته الحكومة في أراضي أخذت من الكرد ليس " مستوطناً" ولم يقاتل الكردي ليأخذ أرضه. بل هو إنسان هجّر من أرضه التي أخذت منه دون أن يسأله أحد رأيه، ليبنى عليها مشروع استراتيجي استفاد منه الكرد والعرب في توليد الكهرباء وفي دفع فيضان نهر الفرات وغيرها من قضايا. مسؤولية ما جرى لهم وللكرد تقع على عاتق الدولة فقط ولا يتحمل أي طرف منهم مسؤولية ذلك وعلى الدولة القادمة إيجاد حلول ناجعة لهذه القضية الشائكة.. الخ.

تفكيك هذه الأنساق الثقافية والاجتماعية السائدة والتي تحكم تفكير وعلاقات السوريين بعضهم البعض وتجعل العلاقة فيما بينهم وفقاً لصورة مسبقة ثابتة لا تتزحزح، هو أمر حتمي وواجب عبر خطاب إعلامي وسياسي واضح يؤكد على سيادة حكم القانون وتساوي الجميع أمامه في الحقوق والواجبات. وذلك بعد رفع المظالم والحيف عن كل أبناء الشعب السوري ورد الحقوق لأصحابها. كما لابدّ من الاعتراف أولاً بالقضية الكردية في سوريا وعدم تجاهلها عبر إيجاد الحلول المناسبة لها وعدم ترحيلها لأوقات لاحقة لأنها ستعاود الانفجار. فإن تبني القضية الكردية يعني الإقرار بالظلم التاريخي الذي لحق بالكرد السوريين ورفعه عنهم ورد الحقوق إليهم. إضافة إلى الاعتراف بكل حقوقهم القومية والثقافية، والمساواة بين مناطقهم وباقي مناطق سوريا بالخطط التنموية المستقبلية. والتأكيد عى أن الاعتراف بالقضية الكردية والكرد كقومية لها خصوصيتها لا ينتقص من الهوية العربية لسوريا ولا يقلل من شأنها ولا يمكن إنكار العمق العربي لها.

هنا أيضا يجب إعادة الاعتبار للهوية العربية التي شوهتها الأحزاب القومية. وحولتها من حالة ثقافية حضارية تؤثر وتتأثر بالثقافات المحيطة بها، إلى حالة شوفينية وأداة من أدوات القمع السياسي. ومثلما العربي جزء من الأمة العربية فالكردي أيضاً جزء من الأمة الكردية. هذا ما يمنح سوريا غنى ثقافي وتنوع حضاري فريد من نوعه. وما ينسحب على الكرد ينسحب على السريان والتركمان بشأن الحقوق الثقافية خاصة.

كل هذه القضايا العالقة لن تترك مجال للاستقرار مستقبلاً في سوريا إن لم يتم حلّها في إطار هوية جامعة ترتكز ثوابتها على مفاهيم العدل والحرية والكرامة والمواطنة الكاملة. ولن يتم ذلك كله إلا بتأسيس نظام سياسي معبّر عن تطلعات الشعب السوري مجتمعاً يجمع السوريين في بوتقة واحدة دون عزل أو تهميش لهوياتهم الفرعية التي سرعان ما سينكفئون إليها كلما شعروا بالتهديد مثلما يحدث الآن. فالفوضى والانفلات الأمني والشعور بالتهديد كل ذلك يشكل بيئة مثالية لظهور الهويات الفرعية وفيضانها على السطح، ويؤجج بالتالي الصراعات ويذهب بها بعيداً.

يمكن لهذه الهويات المتعددة أن تكون مصدر غنى وقوة لسوريا عوضاً عن كونها مصدر تفكك وتفتيت إذا ما تمت صياغة نظام سياسي عصري يحفظ حقوق الجميع ويسير بهم نحو مجتمع المواطنة كاملة الحقوق. تأسيس هكذا نظام منوط بكل أبناء الشعب السوري ونخبه السياسية والثقافية عرباً وكرداً وتركماناً وسرياناً، لأنه الضامن الوحيد لبقاء سوريا وطن حقيقي ونهائي لكل السوريين والضامن الوحيد لحفظ وحدة الوطن السوري.

وبمثل هذا النظام فقط تصبح الهوية انتماء...

مصدر إلهام وبداع نحو نهضة شاملة..

مصدر فخر واعتزاز كل سوري..

النازحين في مدينة البوكمال ... نازحين في أحضان الحرب!

بقلم عمر ظافر

صفحة جديدة من صفحات المعاناة التي يسطرها يومياً السوريون بآلامهم وعذاباتهم ومراراتهم، فبعد أن اكتشفوا أن ما يعدهم به الخطباء من دعم هو ليس إلا أرقام افتراضية تجرى عليه بعض العمليات الحسابية أهمهما الطرح والتقسيم والجذر، لم يبق أمامهم إلا اللجوء إلى أراضيهم المحررة التي دفعوا ثمنها دماء ابنائهم فكانت الملجأ الأخير كما يقول بعضهم.

مدينة البوكمال في محافظة ديرالزور في أقصى الشرق السوري يبدأ صباحها في هذه الأيام باستقبال السوريين من كل المحافظات، هذه المدينة الصغيرة ورغم الدمار الذي حل بها بسبب آلة الدمار الهمجية التي استخدمها النظام في محاولته لمنع الثوار من تحريرها والسيطرة عليها، أصبحت تحوي الآلاف من السوريين الذين ضاقت بهم السبل وتقطعت بهم الأوصال.

فلقد فتحت هذه المدينة التي يشتهر ابنائها بالكرم والشهامة ذراعها للسوريين ولسان حال أبنائها يقول: "بيوتنا المدمرة ما زالت قادرة على احتضاننا واحتضانكم ".

المدينة المنكوبة

بتاريخ 19/7/2012 أعلن المجلس الوطني مدينة البوكمال مدينة منكوبة بسبب القصف والحملة الهمجية التي شنتها قوات النظام على المدينة بعد ان سيطر عليها الثوار مما أدى إلى نزوح أكثر من 88% من سكانها البالغ عددهم 110000 نسمة إلى الريف المجاور وإلى العراق.

أما اليوم وبعد أن تحررت بالكامل عاد غالبية سكانها إليها ليعيدوا إلى مدينتهم الحياة، فالمدينة مدمرة بنسبة 35% فالمنازل والأسواق والدوائر والمباني الخاصة والعامة كانت تحت نيران عصابات الأسد طيلة 5 أشهر.

الدمار لم يستحي من الظهور أمام الزوار وخصوصاً النازحين الذين كان لديهم هاجس في البداية من أنهم لن يجدوا منازل تأويهم، ولكن كان استقبال الأهالي للنازحين كفيلاً بتبديد هذا الهاجس.

نازحون أم ضيوف؟

يرفض أهالي البوكمال كلمة "النازحين" بل استبدلوها بتسمية الضيوف، فبعد أن فتحوا منازلهم لمن جاءهم هارباً من اشتداد المعارك قاموا بإشراك الوافدين بنشاطهم الاقتصادي المتضرر بنسبة كبيرة من جراء معارك التحرير.

"لم يجعلونا نحتاج لشيء جزاهم الله خيراً ولكنا سوف نبقى نازحين" عبارة قالها لنا أبو أحمد وعيناه تلمع حزناً فهو نازح من ديرالزور من سكان حي الجبيلة، ترك منزله بعد أن تهدم لينزح إلى حي القصور في مدينة ديرالزور نفسها ولكن بعد أن اقتحمت عصابات النظام الحي اضطر إلى تركه وخوض تجربة نزوح جديدة إلى مدينة الرقة ليتابع مسلسل النزوح إلى البوكمال بعد أن اشتعلت المعارك في مدينة الرقة.

فكرة النزوح لدى أبو أحمد مرتبطة ببعده عن منزله رغم أن منزله أصبح أنقاض وهو لا ينكر ما قام به أهالي البوكمال من تقديم منزل له وتأمين عمل له ليستمر بحياته ولكن هي غصة النزوح ترافقه أينما حل.

تزايد الأعداد ونقص الامكانات

لا شك أن مدينة صغيرة كالبو كمال ليست بجاهزة لتحمل عبء النازحين الذين بلغت أعدادهم وفقاً لإحصائيات المجلس المحلي لمدينة البوكمال أكثر من 1400 عائلة حتى نهاية شهر ابريل.

ناهيك عن الأزمة الاقتصادية التي تعاني منها البوكمال بسبب تعطل المستمر لحركة نقل البضائع داخلياً وإغلاق الحدود من قبل السلطات العراقية مما أدى إلى ارتفاع الأسعار المرتفعة أصلاً بسبب التدهور الكبير الذي أصاب الليرة السورية، وتأتي مشكلة الازدحام الذي سببه تزايد النازحين وعودة معظم سكان المدينة إلى بيوتهم قادمين من مخيم القائم، لتفرض وضعاً جديد يزيد هموم المجلس المحلي في المدينة الذي تنقصه أصلاً الموارد المالية والآليات.

خاص للحياة السورية

النازحين في مدينة البوكمال ... نازحين في أحضان الحرب!

جمعيات إغاثية تصارع الأزمة

في مدينة البوكمال تشكلت عدد من الجمعيات الإغاثية عقب التحرير لتسد بعضاً من حاجات عوائل المدينة المنكوبة ولكنها أثقلت حالياً بالعدد الضخم من النازحين مع شح الدعم المالي، ففي المدينة 6 جمعيات هي جمعية التقوى وجمعية أهل الكتاب ومنظمة روافد وجمعية أهل الأثر وجبهة الأصالة والتنمية وهيئة إغاثة سورية إضافة إلى منظمة الهلال الأحمر العربي السوري والتي تعمل جميعها بالتنسيق مع المجلس المحلي.

منظمة روافد الإغاثية التابعة لمجلس ثوار دير الزور قامت بإنشاء مركز توزيع الخبز للنازحين لتخفف من معاناة الناس بالوقوف على طوابير الأفران وهي تقوم بتأمين الخبز لأكثر من 1100 عائلة نازحة، منظمة روافد

وبسبب قلة الإمكانات المالية اقتصر نشاطها على النازحين فهي تقوم بتوزيع سلة غذائية لكل عائلة تكفيهم تقديراً لمدة شهر، أما الهلال الأحمر العربي السوري فأنه يقدم سلة غذائية وسلة مواد صحية وغيرها من احتياجات العيش الأولية.

ويحاول المجلس المحلي سد حاجات النازحين والمنكوبين من أهل البوكمال بقدراته البسيطة، فهو يقوم بتأمين حليب الأطفال وقام بإنشاء صيدلية مجانية تقوم بإعطاء الدواء مجاناً للنازحين والمتضررين وقامت بإعادة تشغيل المشفى الوطني في المدينة لتقديم الخدمات الطبية مجاناً للجميع مع وجود مشفى عائشة الخيري الذي يقدم الخدمات الطبية بأسعار رمزية كما تقوم هيئة إغاثة سورية بتأمين الغاز للجميع وقام المجلس المحلي بتشغيل كافة الأفران الخاصة في المدينة إضافة إلى الفرن الآلي.

كما يقوم المجلس المحلي بتأمين الخدمات من كهرباء ومياه وهاتف حيث يقوم بدعمهم بالوقود والآليات وبعض ما يحتاجونه لاستمرار عملهم.

مشاكل النازحين

رغم كل ما تسعى لتقديمه الجمعيات والمنظمات الإغاثية للنازحين لتخفيف معاناتهم إلا أن هنالك مشاكل من الصعب إيجاد حلول لها، فمثلاً مشكلة الطيران الذي ما زال يشن غارات على المدينة مستهدفاً الأفران والأسواق والمراكز الحيوية في المدينة، وهناك مشكلة انقطاع الطلاب عن الدراسة فالحركة التعليمية في المدينة وريفها شبه معدومة بسبب استهداف الطيران للمدارس وعدم قدرة المجلس المحلي على فتح المدارس وتغطية احتياجاتها بسبب نقص الإمكانات، وتأتي مشكلة قلة فرص العمل أكبر مشكلة يتعرض لها النازحون فالوضع الاقتصادي السيء يجعل من العثور على عمل يأمن دخلاً يساعدهم على العيش مسألة صعبة.

الأمل الأخير

هذه معاناتهم وهذه مأساتهم ولكنهم ما زالوا مرتبطين بأمل العودة القريبة مع كل انتصار يحققه الجيش الحر في ميادين القتال، فعيون كل نازح تطالع شاشات التلفاز متلهفين لنصر قد يسوقهم إلى بيوتهم بعد سنتين من العذاب، قضوها مرتحلين من مدينة إلى مدينة ومن حرب إلى حرب، رافضين ترك ما يعانيه أبنائهم من الجيش الحر فهم ما تبقى من أمل لهؤلاء النازحين في أحضان الحرب.

الثورة تغرق في مستنقع الانتماءات.... فمن ينتشلها؟

بقلم راعي الطيب

في بداية الأمر لم يكن هناك أهداف خفية ومحاصصات إن صح التعبير بين صفوف الثوار. والسبب الرئيسي في ذلك هو أنَّ من بدءَ الثورة أناسٌ ليسَ لهم غايات غير الحرية والعيش بكرامة.
وعندما انكسر حاجز الخوف وقطعت الثورة خط الرجعة، بدءَ الانتهازيون وأصحاب الأجندات بركوب موجة الثورة (ودندلو رجليهن). وعلا صوت هؤلاء، كون القسم الأول من الثوار مشغول بثورته وإسقاط النظام . فالخطأ الأكبر كان من الثوار الحقيقين لأن صوتهم اختفى تدريجياً.
بينما فقد العالم المسار الصحيح في اتجاهاته وأفكاره. حيث اضطر قسم كبير من الثوار للعمل مع أصحاب الاجندات والانتهازيين. كما دخل قسم كبير في مستنقع التحزبات والانتماءات، ونسوا الهدف الأول من الثورة. وبدأت هذه الجماعات بتقاسم الكعكة التي لم تنضج بعد، كونهم نسوا أن يحضروا الطحين.
والحل (برأيي لهذه المعمعة) هو:
الرجوع لأهداف الثورة الأولى البعيدة كل البعد عن التحزب والتكتل. ولا يكفي هذا، ولكن يجب على الثوار أن يكونوا مراقبين للتيارات السياسية. وهذا لا يعني أن يصبحوا جزءاً منها، ولكن يجب ان يكونوا هم الحكم بين هذه الاحزاب ومشاريعها.
الثائر مكانه الحقيقي الشارع، وليس مكاتب الاحزاب وتحت قبب الفنادق ...

سؤال محرج

بقلم رفيق الحلو

سفير كفرنبل في باريس

أتابعك منذ فترة ولو أنني لا اتفق معك، هل يمكنني أن أسألك سؤالاً محرجاً..

قلت له: تفضل، أحرج على كيفك .. قال: العفو، لكن لو لم يبقى سوى طرفين، النظام من جهة ومجموعة ألوية وكتائب تطالب بالدولة الأسلامية؟ ماذا تفعل؟

أجبت: لن يحصل هذا، العديد من قادة الجيش الحر يركز على الدولة المدنية أو حقوق كل المواطنين ويناشد الأقليات كي تنضم الى الثورة، ثم أن المسلحين ليسوا كل الشعب، مع أول انفراج ستعود الجماهير الى الساحات وتعلن ما تريده بالضبط، أما على الصعيد السياسي فالإئتلاف يطالب أيضا بدولة ديموقرطية.

قال: لكن الإسلاميين هم أقوى على الأرض كل يوم أكثر، وعلى كل حال أنا قلت افترض افتراضا أنه لم يبق سوى النظام ودعاة الدولة الأسلامية؟ أجبت: لن ادعم النظام. أجاب: تقف على الحياد، إذن؟

أجبت: ولن أقف على الحياد... سأتحالف معهم من أجل اسقاط نظام الأسد بدون أن اتخلى عن نقدي لمشروعهم لأنه يقصيني وينتقص من حقوقي في الدولة التي يريدونها، أما في دولة الأسد فكلنا عبيد لا حقوق لنا بعيداً عن الخنوع والتملق لمجموعة من اللصوص، والوطن ليس إلا مزرعة تعبث بها عصابة لا دين لها ولا قيم. صدقني سيكون النشاط السياسي من أجل دولة مساواة أسهل مليون مرة بعد انتهاء هذا الكابوس الأسدي مهما كان النظام الذي سياتي بعده، بالامس خرجت مظاهرات في بستان القصر ترفع لافتات:

الهيئة الشرعية = المخابرات الجوية.

لم ترجم بالصواريخ ولم يذبح حاملي تلك اللافتات.

في مصر، يسخر باسم يوسف كل أسبوع من الرئيس ومن حزب الإخوان، وحين استدعي على أثر بلاغ، وهو استدعاء غير مقبول طبعاً، تظاهر الألاف أمام المحكمة وظهر عشرات الصحفيين والفنانين في العديد من القنوات يعلنون تضامنهم مع زميلهم، أما عندنا فيخطف علي فرزات وتلوى يداه وتكسر أصابعه لأنه "تطاول على سيده" كما قيل له بالحرف، والحقيقة أن ذلك كان درساً موجهاً لكل فنان أو صحفي أو كاتب قد تسول له نفسه أن ينتقد النظام، والرسالة وصلت، ومن يومها، باستثناء قسم من الفنانين والاعلامين الذين وقفوا وقفة رائعة دفعوا ثمنها، فالأغلبية منهم تتهافت على قنوات النظام لتجدد الولاء لبشار.

سيكتب التاريخ أن لا أحد أساء لسورية كما فعل هذا النظام على مر 50 عاماً. دمروا الأنسان قبل أن يدمروا الحجر واغتالوا المعرفة والفكر الحر قبل أن يتسنى لهم نحر الأعناق، وشوهوا صورة الوطن قبل أن يدمروه. واليوم يدمرون تاريخنا ثم يقسمون البلد. حربهم تقاد ضد الإنسان السوري، المدني قبل العسكري. حرب لا يسلم منها حتى الموالي، وإن سلم في روحه فلن يسلم في رزقه أو صحته.

هم لا يريدون لسورية أن تقوم، هم يحضرون لكيان لقيط، محافظة إيرانية، مرفأ روسي، منطقة عازلة لاسرائيل، مركز تبيض أموال.. أو شيء ما لا يشبه في شيء سورية التي عشقناها. إذا كان الخيار فعلا بين الخليفة والمغول فساختار الخليفة بدون أي تردد، ذلك كان جوابي على ما افترض الصديق أنه سؤالاً محرجاً.

سوريا والمحيط: أولى مؤشرات التقسيم

بقلم جان عزيز المونيتور

بعد أشهر قليلة على اندلاع الحرب السورية انطلق الحديث عن تقسيم سوريا. وسط تحليلات كثيرة وقراءات تاريخية عديدة، حاولت إعادة كتابة أحداث قرن كامل من تاريخ المشرق. قيل في حينه أن الغرب هو من خلق قبل مئة سنة، حالة الدول المستقلة التي نعرفها اليوم في هذه المنطقة. وأنه فعل ذلك في خضم الحرب العالمية الأولى وما بعدها. وقيل أيضاً أن الغرب نفسه هو من قرر اليوم بعد قرن كامل على ذلك الحدث، السير بالمنطقة في شكل معكوس: فبين عامي 1915 و1916 كان الاتجاه هو الخروج من كنف السلطنة العثمانية المعادية للغرب والمناوئة لمصالحه في أرضها، إلى حالة الكيانات الدولتية الحديثة. أما بين العام 2013 وما يليه، فالاتجاه بات العودة من تلك "الدول الفاشلة" إلى ما يشبه هيمنة نيو – عثمانية تركية، حليفة للغرب نفسه وضامنة لمصالحه في المنطقة. لكن رغم كل الكلام الذي فاض حول هذه المماثلة، ظل واضحاً أن أي موقف رسمي أو اي خطوة عملية لم تذهب نحو ترجمة هذا التوجه التقسيمي. لكن في الأسبوعين الماضيين تبدل المشهد جزئياً، ورصد المراقبون سلسلة مؤشرات قد تدل على أن المسار التفكيكي لسوريا راهناً، وربما لمحيطها لاحقاً، قد بدأ فعلياً.

المؤشر الأول تمثل في سيطرة المعارضة السورية المسلحة على مناطق معينة من جغرافيا الدولة السورية. ومن ثم مع قيام "حكومة موقتة" لدى تلك المعارضة، تقول أن مهمتها إدارة تلك المناطق. ولم تلبث إشارات التقسيم أن تلت تلك الخطوة فتمثيل سوريا في المحافل الدولية بات ملتبساً، كما تم أيضاً منح مقعدها في جامعة الدول العربية أعطي للمعارضة. حتى أن البعض بدأ يبحث في مسائل جوازات السفر المنفصلة والإدارة الكاملة في شكل مستقل.طبعاً، لم يعلن أي من المسؤولين المعارضين أو الموالين أن تلك الخطوات هي تقسيمية. بل على العكس. إذ يُجمع قادة الفصائل المعارضة على أن ما يقومون به هو من أجل سوريا الموحدة لا غير. علماً أن هذا النوع من الخطابات التبريرية هو نفسه ما رافق عبر التاريخ كل الخطوات التقسيمية أو الانفصالية أو التفكيكية للدول التي عانت أزمات أو حروباً داخلية. الخطاب الوحدوي نفسه كان في اليمن أيام انقسامه، وهو كان طاغياً في السودان حتى انشطاره دولتين. وهو سيطر على ألسنة كل أمراء الحرب اللبنانيين طيلة 15 عاماً من تقاسمهم جغرافيا بلادهم ودويلاتها. والتسويغ الوحدوي نفسه موجود في كل أدبيات الحروب التقسيمية عبر التاريخ، من كوريا وفييتنام والصين وفورموزا، وصولاً إلى ألمانيا وكل حالة أمر واقع، تكون مطلوبة ضمناً ومحرمة علناً.

المؤشر الثاني جاء من جهة النظام الرسمي. إذ كان لافتاً ما أعلن في دمشق في 2 نيسان الحالي من أن برلمان النظام، أو "مجلس الشعب السوري"، أوصى بإحداث تعديلات على التقسيم الإداري لسوريا. أبرزها استحداث ثلاث محافظات جديدة:

الأولى هي محافظة ريف حلب التي فُصل عن حلب وسُميت محافظة منبج. والثانية تحت اسم القامشلي التابعة حاليا لمحافظة الحسكة، والثالثة تحت اسم البادية وتضم تدمر والمناطق المحيطة بها والتابعة حالياً لحمص. طبعاً صدرت التوصية المذكورة تحت عنوان الدوافع التنموية لا غير. لكن بدا من الصعوبة بمكان فصل هذه الخطوة عن الواقع العسكري الميداني في كل من المناطق الثلاث. ففي حلب جاءت الخطوة "الإدارية التنموية" لتكرس أمراً واقعاً بات يقسم تلك المحافظة فعلياً إلى منطقتي سيطرة، واحدة مع النظام وثانية مع المعارضة. وفي حمص الأمر نفسه ايضاً. فيما كان لافتاً انتقال المعارك العسكرية إلى بعض مناطق القامشلي بعد أيام قليلة على صدور توصية إعادة رسم حدودها.

ومنذ اللحظة الأولى لصدور تلك التوصية بدا أن جهداً رسمياً بُذل لعدم إعطائها أي بعد تقسيمي. لكن المسألة تعني عملياً تحديد الأطر الجغرافية للمناطق التي يسيطر عليها النظام، وبالتالي نطاق اهتمامه وإنفاقه وإدارته لتلك الأراضي وسكانها. وهو ما قد يتقابل ويتكامل مع المؤشر الأول، أي قيام "الحكومة السورية الموقتة" بالاهتمام بالمناطق الأخرى، مما يؤدي تدريجياً إلى قيام أمر واقع تقسيمي.

وفي تدقيق ميداني في هذه الخطوة، يقول الخبراء أن إعادة التقسيم هذه لا تخلو من أبعاد طائفية ومذهبية واضحة. فريف حلب الشمالي المتاخم لتركيا، والذي بات محافظة منبج، هو ذات أغلبية سنية ما يعني أن فصله تخفيفاً من الثقل السنيّ في حلب. أما محافظة القامشلي المستحدثة بفصلها عن الحسكة، فهي ذات أغلبية كردية، بينما أغلبية الحسكة من العرب السنة. وأخيراً محافظة البادية الجديدة، والتي تضم مدينة تدمر وبادية الشام الشرقية، سكانها سنة أيضاً، مما يخفف نسبة هؤلاء عن مدينة حمص المحاطة غرباً بريف ذي أغلبية مسيحية وعلوية.

مؤشر ثالث بالغ الأهمية أيضاً، كان كلام الرئيس السوري بشار الأسد في 5 نيسان، بعد ساعات قليلة على تلك الخطوة الإدارية، إلى تلفزيون "اولوصال" التركي. إذ تحدث الأسد بصراحة عن التقسيم كاحتمال لمؤدى الحرب السورية. ولو كان كلامه من زاوية التحذير من الخطوة ورفضها. وهي صيغة أخرى ملازمة أيضاً عبر التاريخ لكل الخطابات الرسمية المرهصة لحالات مماثلة. قال الأسد: "الكل يعرف أنه اذا حصل اضطراب ووصل الى مرحلة التقسيم، أو إلى سيطرة القوى الإرهابية في سوريا، أو كلتا الحالتين، فلا بد أن ينتقل هذا الوضع مباشرة الى الدول المجاورة أولاً، وبعدها بتأثير الدومينو الى دول ربما بعيدة". واضاف إن ذلك "يعني خلق حالة من عدم الاستقرار لسنوات، وربما لعقود طويلة".

غير أن معارضي الأسد لم يعطوا الوقت الكافي لاستغلال هذا الكلام إعلامياً. ذلك أنهم أصيبوا بنكسة أكبر مع صدور إعلان عن تنظيم "القاعدة" العراقي في 9 نيسان، يؤكد للمرة الأولى، أنّ "جبهة النصرة" التي باتت أشد المجموعات المقاتلة ضد النظام في سوريا، "هي جزء من تنظيم القاعدة الناشط في العراق وهدفها إقامة دولة إسلامية في سوريا". وأكد زعيم تنظيم القاعدة العراقي، أبو بكر البغدادي: "آن الأوان لنعلن أمام أهل الشام والعالم بأسره ان جبهة النصرة ما هي إلا امتداد لدولة العراق الاسلامية وجزء منها". كما أعلن "الغاء اسم دولة العراق الاسلامية واسم جبهة النصرة وجمعهما تحت اسم واحد هو الدولة الاسلامية في العراق والشام". كمن يرسم الحدود الجغرافية والمذهبية للدولة الأخرى.

وليس بعيداً عن تلك المؤشرات، وبعد ساعات قليلة على إعلان "القاعدة" هذا، كانت الأقلية العلوية في مدينة طرابلس شمال لبنان، تعلن بلسان بعض مسؤوليها الروحيين والسياسيين، أنها تتعرض لحرب إبادة وتطهير. وذلك بعدما شهد يوم 10 نيسان حملة من قبل "جهاديين" سنة في المدينة اللبنانية الثانية، أدت إلى إحراق عدد كبير من المحلات والمصالح الحياتية والاقتصادية التي يملكها لبنانيون علويون من أهل المدينة. علماً أن هؤلاء تقدر نسبتهم بنحو 12% من سكان طرابلس تقريباً، أو نحو 30 ألف نسمة، يعيش معظمهم في حي خاص بهم، تحول نوعاً من غيتو. فيما أعمالهم المنتشرة في أرجاء المدينة باتت مهددة بالتصفية الكاملة. حتى أن أحد مسؤوليهم السياسيين قال في حديث صحافي: "بتنا نعيش في المدينة بين فكّي كماشة، بات البعض ينظر إلينا كخونة وكفار ويهدر دمنا وتستباح حرماتنا وممتلكاتنا فقط لأننا علويون". هكذا ترتسم كل الدوافع المطلوبة بين سوريا ومحيطها: فصل مذهبي، فرز سكاني، إعادة ترسيم إدارية، فضلاً عن خطوط التماس العسكرية، والأخطر منها خطوط التماس النفسية والجماعية. إنه كل ما يلزم لإقامة أمر واقع في مرحلة أولى، قد يتطور لاحقاً بحسب الموازين والظروف. كل ذلك في منطقة قد تكون أبرز ميزاتها السوسيو – سياسية أن تكوين الدول فيها لاحق لتكوين الجماعات، لا سابق له. وأن ذاكرة تلك الجماعات تردد منذ قرون بعيدة، أن "الكيان" الخاص بكل منها، ثابت في حدود التاريخ وحسب، لكنه قد يكون متغيراً في حدود الجغرافيا.

الحياة في "حلب" بعد سقوط الـ" سكود"

تجلس سامية على وسادة أخرجتها من تحت الانقاض. كتلاً من الحجارة هي ما تبقى من منزلها في حي طريق الباب في شرق مدينة حلب بشمال سوريا، والذي أصيب مؤخراً بصاروخ أرض أرض يقول السكان أنه من طراز "سكود".

منذ ذلك الحين، تعود هذه السيدة الخمسينية يومياً الى هذا المكان لتحول دون نهب ما تبقى من أغراضها تحت الركام. وتقول بمرارة : "لم نتلق أي مساعدة انسانية، الوحيدون الذين قدموا لزيارتنا هم السارقون".

خلفها، يحمل بعض الرجال المعاول بإيديهم، مبعدين الاسمنت المتكسر في محاولة للعثور على أغراض ما زالت صالحة للاستعمال تحت أطنان من الحجارة والقضبان الحديد التي تغطي شوارع حي طريق الباب الذي استهدف بصواريخ أرض أرض في 22 شباط/فبراير.
ويقول مصطفى، قريب سامية الذي يغطي الغبار الابيض وجهه وشعره: "إن الناس لا يملكون ما يأكلونه، فيأتون (إلى هنا) لجمع الأغراض من المنازل المدمرة".
وأفاد المرصد السوري لحقوق الانسان أن أربعة عشر شخصاً قتلوا وأصيب العشرات بجروح جراء سقوط ثلاثة صواريخ أرض أرض على المنطقة.

وكان النظام السوري استخدم في كانون الاول/ديسمبر 2012، صواريخ أرض أرض للمرة الأولى منذ بدء النزاع في البلاد قبل عامين. وتنقل منظمة هيومن رايتس ووتش عن ناشطين معارضين للرئيس بشار الأسد، أن النظام استخدم هذا السلاح الثقيل قرابة ثلاثين مرة منذ ذلك الحين.

وتشير أرقام الأمم المتحدة إلى أن ما يقارب مليون و200 ألف منزل تعرضت للدمار منذ اندلاع الاحتجاجات المطالبة بسقوط النظام منتصف آذار/مارس 2011.

في لحظة سقوط الصواريخ، سويت أربعة شوارع بالأرض. وفي شعاع قطره 100 متر، يغيب أي أثر لمبنى ما زال واقفا على أساساته.
لا يمكن لأواش (60 عاماً) أن تحبس دموعها وهي تعرف عن حفيدتها وتقول: "مع إخوانها وأخواتها الخمسة، باتت يتيمة الأم منذ سقوط السكود".

تضيف وهي تمسح دموعها بحجابها الاسود: "كنا في المنزل وهوى سقفه على رؤوسنا (...) منذ ذلك الحين لم يأت أحد لمساعدتنا، ولم يقدم أحد لنا ليرة سورية. بقينا هنا نموت من الجوع ونعاني، كل هذا بسبب بشار الاسد".

أمجد (10 اعوام) كان يقطن في المنزل المجاور، وبات حالياً مقيماً في خيمة خارج حلب العاصمة الاقتصادية للبلاد، والتي تشهد منذ تسعة اشهر معارك عنيفة بين القوات النظامية ومقاتلي المعارضة الساعين الى إسقاط النظام.

يستعرض أمجد معاناته مع "البرد والشتاء والهواء"، متحدثاً عن شقيقه الذي ما زال طفلا صغيراً: "هويعاني من ارتفاع في الحرارة جراء الظروف التي نعيش فيها". كما أدت الصواريخ الى مقتل والد أمجد الذي باتت عائلته بلا أي معيل، وتعتمد على المعونات التي تتلقاها من الجيران.
من جهتها، لم تعد سامية تملك سوى خيمة تشكل ملجأ لها مع أولادها الثمانية وزوجها البالغ من العمر 70 عاماً. وها هي تقول: "ليس في حوزتي سوى الرداء الذي البسه، لم يكن في أمكاننا أن نحمل أي شيء آخر معنا". وتضيف: "لحسن الحظ أن الشمس عادت (مع بدء الربيع)، هي نورنا الوحيد".

وتوضح عن ابنها: "ابني الصغير قال لي في احد الايام: أمي، لا أريد أن آكل بعد الآن، أفضل أن أموت، أكره هذه الحياة".
على مقربة من سامية، يشير علي (25 عاماً) وهو أب لولدين، الى ما بقي من شاحنة حمراء اللون أمام ركام منزله. ويقول :هذا ما تبقى من الشاحنة التي كنت استخدمها للعمل. فقدت كل شيء. لم يبق لنا شيء".

في غضون ذلك، يعبر أحد جيرانه الشارع. يشكو قائلاً: "كنت محامياً، وها أنا قد بتّ راعياً! هذا ما أصبحنا عليه. فقدت كل شيء بين ليلة وضحاها".

قصة معتقلة

24 يوماً مضى على خروجي من المعتقل ..
أو ما أسميته بالجحيم الملتهب.
24 يوماً ...
وأنا في حالة أقرب إلى حالة الهستيريا المطلقة مما حدث !!
أسئلة الناس من حولي لم تتوقف ...
" اي بتمرء .... "
" عادي هو أول كم يوم بتنسي"
لم تمر ..
ولم أنسَ ما حدث ويحدث إلى الآن وإلى هذه اللحظة.

لم أنسَ "أم تيم" ابنة الـ25 ربيعاً، عندما أستدعاها النقيب إلى مكتبة الساعة الثانية ليلاً، لتعود لنا في حالة صدمة بعد اغتصابها بوحشية للمرة الثانية على التوالي.
لم انسَ وجهها .. دموعها .. تضرعها إلى الله.
لم أنسى وجه "منى الوادي"، عندما أخبروها بأنه سيتم أعدامها في اليوم الثاني عند العاشرة صباحاً.
لم أنسَ صوت "ولاء الكيال" ابنة الـ20 عاماً، عندما قالت لي:
" شوفيلي ضهري .. ضربني على ضهري "
لم أنسَ آثار الضرب والكدمات على ظهرك يا ولاء.
لم أنسَ انتفاض جسدك يا "آلهام من الموحسن"، عندما جاءتك نوبة الصرع للمرة الأولى.
لم انسَ عندما أنهال السجان عليك بالشتم :
"متمثلي ... قومي ولييه". ونحن نتوسله أن يأتي لنا بدواءك.
لم أنسَ أم الآووش "ثناء سلمان" ذات الـ45 عاماً، عندما انقطع عنها التنفس نتيجة "الجلطة " ...
لم أنسَ صراخنا وطرقنا على الباب من أجل إحضار الطبيب لكِ ولاحياة لمن تنادي...
دموعك المنهمرة من أجل أطفالك ...
لم أنساها يا أمي يا أم الآووش.
أم تيم .. منى الوادي .. ثناء سلمان ..
آلهام (من الموحسن) سارة حسين ..
سميرة الشاغوري .. عبير خزندار..
هؤلاء مازالو يقبعون إلى يومنا هذا ضمن الجحيم الملتهب.
وجوههم التعبة تحاصرني ...
آلامهم لم تفارق مسامعي ...
إنهم في كل مكان ... ينادون .. يصرخون ..
ليس لديهن من يوصل صوتهن، إلا من كان معهن وخرج بقدرة الله وفضله.
لن ننساهن .. إنهن أموات أحياء خلف القضبان...
"لا حول ولا قوة إلا بالله"

بقلم ختام بنيان

ياسمين الثورة

أقسمت مرتين

بقلم نور - دمشق

ها أنا اليوم بعد العام أبكي على ضياء كتابة. وأي كلمات تفيه طهره وحلمه الأبيض !
كاليوم وتحديداً كهذه اللحظة، جاء نبأ استشهاد ضياء -وأنا التي كنت أنتظره- بل وأدرك جيداً أن صوت القصف ذاك قد بتر عمر ضياء.
لم تكن نظراته الأخيرة ولا استعجاله المرتبك ليخرج من المنزل عادياً يومها.
قال لي أحدهم:"الشهادة يخاف عليها أن تضيع"
والله صدق..
لهذا إذن كان ضياء على عجلٍ مخيفٍ.
كان تواقاً إليها بشغف عريس إلى عروسه. ولا أدري كيف أنا التي أرفض كل الرفض حتى أن يطرق مخيلتي لبرهة أمر استشهاده، أساعده في البحث عن بعض الأوراق التي يحتاجها لمهمته التي يود الخروج إليها. وأفرح كثيراً لأني وجدتها وهو يشد على كتفي وكأنه يقول لي: أحسنتِ، قصرتي أمامي الطريق، سأنال ما انتظرت..
أقفُ أمامه. أتأبط خوفي وحيرتي، وأتوسل إليه ألا يخرج بينما يعدني أنه سيعود في غضون ربع ساعة. كذب عليّ ضياء وهو الذي لم يكذب قط في الحقيقة. ولأكون منصفة هو صدق ولم يكذب فما هي إلا ربع ساعة وبالفعل عاد ماراً من باب المنزل بسيارة إسعاف ينذر صوتها بالفاجعة التي ستحلُّ علينا بعد دقائق.
إذاً فليأتِ خبر استشهاده متقطعاً وبتريث ليقطع روحي شيئاً فشيئاً، ومن ثم يطرح قواي على الأرض بكل قسوة.
فليزف ضياء على مهلٍ وليغلق باب المنزل لئلا يعرف أحدٌ منا نبأ استشهاده. تتهجم علينا الأخبار من كل صوب لنصل أخيرا إلى حلكة الصدمة وعنفوانها.
أولها القصف كان في منطقة خالية ولم يصب أحداً..
عفواً رفيقه من استشهد وهو لا بخير..
رفيقه استشهد، وهو مصاب إصابة خطيرة..
هيا ماذا تنتظرون زفوا الخبر لأم الشهيد وغنوا: "زغردي يا أم الشهيد زغردي".
فليصرخ الرفاق بصوت باكٍ: "رحم الله ضياء قد استشهد، وكان ما أشجعه ما أطيبه وما أجمله".
لتصدح المآذن بدعوات الرحمة والنعي أما نحن فلنتلق اللطمة على قفا غفوتنا!
لا بأس لن نموت قبل انتهاء آجالنا بثانية واحدة. نحن الذين متنا مذ مات ضياء الآن.
أنا وحدي من أعرف أن ضياء لفظ أنفاسه الأخيرة. أأخبر أمي أن ضياء الذي ينتظر عروسه يراها غدا "مات"؟
أو أخبر نفسي بأنه ماعاد لي أخا؟!
وأنا التي كل حديثي حتى قبل هذا اليوم لايخلو من ضياء وغيرتي عليه!
أأبكي عليه أم على نفسي وعلي تعلقي به؟!
الغريب أنني أقسمت في سري أن ضياء قد استشهد منذ سمعت صوت القصف القريب. وحينما احتشد المنزل بالجيران قلت بهجوم لإحداهن وهي تعزيني فيه: ليس هو ضياء لم يمت والله ليس هو!
أتراني أحاسب على قسمي هذا!
كيف في الوقت نفسه الذي أقسم فيه أن ضياء قد مات، أقسم أنه لم يمت وفي الحالتين كنت صادقة حد اليقين.
لا أذكر من سألتني بعد العزاء من باب الدعابة: "كنت تغارين بكل من يحيط بضياء من الإناث غيرك، حتى لربما من أمك
فلماذا تنظرين في اثنين وسبعين حورية؟!".
أغار يا ضياء منهن أم أبكي فرحا بك؟!
لا هذا ولا ذاك ..
سقطتْ حينها في غيبوبة صفراء ليست إلا محاولة لانتشال الغصة التي تملأ حلقي.

صامتون حتى الثمالة

بقلم حنين - السويداء

لو أن أمثال فهد الشاعر لازالوا في الجيش لما حصل ما حصل. لكن الجيش المتوغل في دبر الشعب لا وقت له للحدود. لا وقت له للكرامة لا وقت لديه إلا لتنفيذ الطاعة لمولاه. هو يلاحق الارهابين في صراع الجبابرة ويحاول قتل غرنديزر في قطر، وسيقتل شريخان في تركيا.لا وقت لديه إلا لملاعبة الأطفال ومداعبة مشاعرهم القومية على شاشاته المهترئة. هم يحاولون غسل العار بما غنت فيروز. يحاولون كسر العدو باشعار درويش ونزار. ظناً منهم أنهم يزلزلون الأرض تحت أقدام تل أبيب بأغنية "هذا جيش الوطن". "لك طز بكم" وبهذا "الوطن" يا من اعتدتم سرقته .

كفى.. كفاكم كذباً وعهراً.. كفاكم دجلاً وتزويراً.. كفاكم يا أرباع الرجال. فالوطن أحوج لرجاله.

أنتم وإن علت مراتبكن أتباع كلام وأتباع خطابات منمقة. أنتم آخر من يذكر التاريخ.وأشرفكم من انتحر..

مللنا الكلام وباعته.. امتلأت حناجرنا بصيحات عهركم..

غصصنا وغصت الدموع تأبى السقوط ببلد التاريخ. فللتاريخ رجال ولهذا الزمن أطفال.. أغبياء انتم يا شركاء الوطن.. ولا احترام لديكم للشرف العسكري.. ولا للرتب ولا للعز الذي أكسبه أجدادنا للبزة العسكرية. إسرائيل تتوغل حتى العورة؛ وأنتم تردون باعتقال وتقطيع أوصال الداخل السوري محتفظين بحق الرد.

عارٌعلينا أنتم، وعارٌ على الوطن أن تحملوا رايته وشرفه العسكري. عارٌ عليكم هويتكم وعارٌ علينا رؤيتكم. ادفنوا رؤوسكم في التراب كما النعام. اغسلوا شرفكم بالخطابات المنتهية الصلاحية.

اغلقي أبوابك يا دمشق فالفاتحين ماتوا. اهدمي أسوارك يا دمشق فلم يعد بك صلاح ولا يوسف ولا سلطان.قد مات السيف في الغمد، وذبلت زهور الكرامة فينا. فالدم مسموم.. والعشق مسموم. الوطنيات مباعة.. فالوالي لص، والجيش باعة..

سنسحب من ذاكرتنا نهر بردى كما سنسحب من أنسجتنا هواء الشام. وإلى نهر الأردن قادمون نعبرُ خيبات الأمل وخيبات الذاكرة. ذاكرة وطن وذاكرة رجال. كانوا فكنا.. رحلوا فمتنا.. وفي انتظار الأبطال سنبقى صامتون حتى الثمالة..

"المستقبل السوري" هل هو نمر على ورق؟!

بقلم صالح ملص

يبدو أن الحديث عن المستقبل السوري سابق لأوانه. ولربما نعلم أيضا أننا إذا فشلنا في التخطيط الفعال الإستراتيجي للمستقبل السوري فقد خططنا للفشل. و لا يجوز أن ننشغل بمجالات عديدة كالسياسة و الإعلام و الإغاثة و الجناح العسكري و بمختلف المجالات الأخرى في الثورة و نهمش المستقبل، لأن المستقبل آت لا محال. بل حتى نظام الأسد يعي ذلك.

فالسؤال هنا هو: ماذا أعددنا لمستقبل سوريا من تخطيط؟

لا ننكر أن المستقبل بيد الله - تعالى -، لكن واجبنا تجاه البلد العظيم هو أن نخطط لمستقبله.

فالشعب الذي استطاع أن يقوم بثورة كانت بدايتها في الخامس عشر من مارس 2011 واستمرت حتى هذه اللحظة، من المؤكد أنه جدير بالتخطط لبناء دولة ترتقي لما وصلت إليه البشرية.

لكن ما هي القدرات الأساسية التي يملكها شعبنا؟ علينا أن نحدد مدى قدرة شعبنا على استيعاب التخطيط و السير نحوه. و ما هو مستوى الرؤية و مستوى الغاية الإستراتيجية خلال ثلاثين سنة المقبلة في سوريا؟

ما هو مقياس الدولة في المستقبل؟ لأن المبدأ الأول في علم التخطيط هو أن نعلم ما هي مقاييس الأمور في المستقبل" ما لا تستطيع قياسه، لن تستطيع إدارته". و بالتالي يجب أن يكون هناك تحديد واضح، إلى أين سنصل في التعليم خلال ثلاثين سنة المقبلة من ضمن الترتيب العالمي كحالة من الحالات؟

إلى أين سنصل في الصحة..الصناعة..الثقافة...حرية الإعلام...إلخ، كيف سنقوم بتعديل الاقتصاد الذي تدهور بسبب الفساد المالي و الحرب الدائرة في الساحة السورية؟

ما هي أسس المقاومة الواعية لمن يعطل مستقبلنا؟.

هناك طرق عدة لإضعاف مستوى النهوض بمستقبل سوريا من عدة جهات معينة.فإذا لم ندرك أسس المقاومة الواعية، فكيف سنحافظ على مستقبل سوري سليم؟!

التخطيط لوضع حجر أساس لدولة جديدة يبدأ بالدستور، ليوازي دساتير العالم المتقدم باحترامه كل مكونات النسيج السوري الواحد. وعلى أساسه ينبثق منه مؤسسات لبناء الدولة المدنية الديمقراطية..دولة القانون، بالإضافة للوعي الفكري. فالتخطيط لبناء الإنسان السوري الواعي مهم جداً، حيث لا يوجد مستقبل مشرق في ظل فساد فكري.

كما أننا لن نستطيع النهوض بدولتنا إذا كانت العقول الفكرية مخدرة متحجرة. لأن العقل و الإنسان هما جزء لا يتجزأ من مستقبل سوريا. لعل هذا الموضوع لسنا بصدد التحدث به الآن، لكن لنجعل 95% من الشعب ينشغل بالمجالات التي ذكرت و لنكتفي بـ 5% من الشباب الواعي ليفكر و يخطط للمستقبل السوري. لأن التخطيط للمستقبل بشكل عام جزء من الحياة، و كما ذكر سابقاً إذا فشلنا في التخطيط للمستقبل فقد خططنا للفشل.

الصوت الخائن ..

بقلم حنين - السويداء

تسمع ذلك الصوت القادم من عمق الألم كأنه صوت الثكالى والأيتام. تبكيك صيحات وجعه المعتّق، وهو ينادي أعرق المدن. يغازل ترابها ويطبع قبلة حب على جبينها ملونة بدماء الأطفال.
تثور الأفواه البائسة -عبدة صنم الجوع- لترتل تراتيل العبودية، وتجعل للفن ألف انتماء، وللوطنية انتماءٌ واحد لصنمها آلهة الإجرام والخيانة.
وكأنه لم يقل: حلب. وكأنه لم يبكِ سوريا بأطيافها. ولم يُسمع الكون آهات جراحنا.
هو قال: حلب يا نبع الألم... وهم قالوا: إخونجي!!
هو قال: يا كتر دم الي انسكب.. وهم قالوا: عميل!!
فلله دركم يا باعة الخطابات! يا عملاء الدم! يا تجار الوطنيات!
مللنا نباحكم وزهقنا من تجارتكم. كفوا عن تخوين الأوفياء، فليس كل من خرج عن سرب طاعتكم خائن. أنتم سر الخيانة العظمى، فلطالما أول الأنذال وأشرفكم آخر الشرفاء.
فرقتم المذاهب وقلتم مؤامرة. فرقتم الأماكن وقلتم مقامرة. وها أنتم تفرقون بين صوته وأصوات الناس، ثم تنعتون أهله بالعمالة. حتى الفن لم يسلم من شروركم.
يا حيف.. غدا صاحبها "عواييني". وكأنه لم يغنِ للجولان طواعية، ويقاتل بصوته فوق سطوح الجليل وحيفا بينما كان جيشكم نائماً. وكأنه لم يضرب بوتره على وجع الشعب، ولم يطعم الأمل للواقفين على أسوار قصركم ينتظرون نهاية "حربكم" المزعومة في مواجهة الإرهاب الكوني.. وصنمكم يبتسم ملء فاهه.
هجرتم الأحرار، فأصبح الشبيح بنظركم رمزاً للوطنية.
سجنتم الأبطال، فغدا الخصيان حماة البلد.
أسكتم صوت الحق الرصين بعوائكم الذي جعلتموه نشيداً وطنياً.
عارٌ أن تنتموا لسوريا، كما عارٌ علينا الإعتراف بكم. وعارٌ على الشام أن توصم بكم. وأنتم وإن طالت إقامتكم، فلليل نهاية.

صوت القذائف

بقلم نبراس حمورية

هو صوت ألفناه. اعتدنا النوم على أنغامه وألحانه، وأصبحت عندنا الخبرة الكافية بتقدير نوع القذيفة وعيارها ومداها، ومن أين مصدرها؟ وكيف توجه؟ وما مدى تأثيرها؟. تكاد تخلو لياليا من هذه الأصوات فنستوحش من ذلك ونتسائل عن سبب تأخرها؟

قد تكون الأصوات من جهات صديقة وقد تكون من جهات معادية. يعرف ذلك من حجم الصوت وطبيعته. كما تختلف الأصوات بين الليل والنهار

فسكون الليل يظهرها بوضوح تام. أما ضجيج النهار واختلاط الأصوات، قد يترك مجالاً للتخمين مع نسبة مسموحة من الخطأ في التقدير.
أول قذيفة سقطت على بلدتنا، تلك التي استشهد على أثرها الشابان مهند عباس وعماد حمص رحمهما الله. ومع كل صوت للقذائف نسمعه، تصلي نساؤنا وتبتهل وترتفع يدا الجميع بالدعاء: يا لطيف.. يارب لطفك .. الطف يارب .. الله يحمي الشباب.

والمقصود من الشباب الثوار دون غيرهم. صحيح أن القذائف كانت تستهدف الجميع، الشيوخ والشباب، الذكور والإناث، النساء والأطفال. لكن الجميع قلوبهم على الثوار لأن الأمل معقود بهم، وهم الذين نذروا أنفسهم لتحقيق هذا الأمل.

خطوة للوراء، قدم في الوطن، قدم في المعتقل، قدم في الغربة..

بقلم ماهر بني

فترة حكم صدام حسين - فترة الثمانينيات:

هذه الفترة كانت العلاقات السورية العراقية مقطوعة. وعلى جواز السفر السوري طبعت العبارة التالية "مسموح السفر لكافة دول العالم ما عدا العراق ". إذاً ما وضع السوريين المقيمين بالعراق؟! الجميع دون استثناء وجهت لهم تهمة الخيانة من النظام البعثي سواء كنت معارض أو لم تكن، فأنت "خائن ".

كافة المعارضين السوريين (إخوان مسلمين , جماعة عفلق البعثية , الاشتراكيين والناصريين) وأقصد بذلك المعارضة ككل التجأوا لحصن صدام حسين الذي استخدامهم كورقة ضغط على حكومة البعث السوري، لأن النظام الأسدي قام بحماية المعارضة العراقية ومنحهم الجنسية السورية وهدد الحكم الصدامي. فكان من صدام حسين أن ذبح الإخوان المسلمين بالعراق واستقبل الإخوان المسلمين السوريين. هذا يدل على شيء واحد أن النظام البعثي بكافة الدول هو نفسه لا تتغير صيغته (القتل، الذبح، الاغتصاب.. هي نفسها لا تتبدل لديهم).

سقوط حكم صدام حسين وبدأ مرحلة الاحتلال الأمريكي الايراني للعراق:

على الجدران كتب "السوري يطلع برا". طردت من بلدي لأجل نظام بعثي فاشي ولكن الآن من أجل ماذا؟ لقد رحلت حماية صدام وبدأت المرحلة الثانية من حياتي.

عندما سقطت حكومة صدام حسين قامت ميليشيات الحكومة العراقية المهجنة (أمريكياً و إيرانياً) بالهجوم على بيوت السوريين الذين استظلوا بحماية صدام حسين وأردت الكثيرين منهم بين مذبوح وقتيل بالإضافة لأحراق العديد منهم. قامت بعمليات قتل بحقنا فقط لأننا سوريين فكان ممن تمكن من الهروب من هذه الميلشيات أن ينجو بحياته خارج العراق. وهنا كنت أنا في مرحلة دراسة الهندسة الميكانيك سنة ثالثة. تركت العراق ورحلت أنا وأسرتي لليمن.

مشكلة السفارات وطلباتهم التعجيزية!

قامت الحكومة السورية بعملية خبيثة وهي تبديل جوزات السفر التي يصعب تزويرها. نوع من الجوزات الصغيرة بدل الكبيرة.وهنا كان أكثر السوريين من جماعة الإخوان المسلمين لا يمتلكون سوى الجواز الكبير، طبعاً المزور. لقد عانيت كثيراً في هذه المرحلة من حياتي فعندما كنت أقف عند السيطرات كان قلبي يمتلئ من الرعب. ولولا شكلي ولهجتي لكنت ضحية لتصرفات الميليشيات العراقية وأنا أعرف الكثير من السوريين وخصوصاً الحموية تم إعدامهم ميدانياً الكثير منهم جريمتهم أنهم "سوريون " فقط.

مضايقات بالجامعات

حتى داخل الحرم الدراسي لم نسلم من التحرشات اللفظية والإهانات. فمن فترة لفترة يستدعوك لوزارة التعليم العالي، لتذكيرك أن الجامعات العراقية فحسب دون ذكر اقتحام الحرس الوطني أو جيش العراق الجديد للحرم الجامعي كل فترة من أجل ألقاء القبض على طلاب عرب ناتجة عن تقارير مقدمة مسبقاً من طلاب عراقية عن فلان أموي، وفلان أخر إرهابي. وأنا شخصيا أتذكر العام ما بين فترة 2004-2005 كنت بمستوى ثاني هندسة في الجامعة التكنولوجية ببغداد. استدعوني لوزارة التعليم العالي حوالي 20 مرة فقط لأذلالي، بحجة أن أنا إرهابي، أو صدامي وطبعاً كنت أتعذب كثيراً لأن المسافة من منزلي للوزارة لم تكن بالسهلة. هذا طبعا إذا تمكنت من النجاة من الحواجز التي عملت على تفريغ رصاصاتها في شباب سوريين كثيرين، لتبدأ مخاطر الاعتقال من الجامعة.

مديرية الاقامة

لم تكن تدعى بالنسبة لنا " مديرية الاقامة " وإنما مديرية الترحيل وتسليم السوريين. فقد كان العديد من الموظفين متعاون مع المليشيات، فعندما تذهب لمراجعتهم من أجل الإقامة تبدأ مرحلة الشتم بأبشع العبارات التي من الممكن تخيلها. وعند رؤيته للجواز الكبير يرميه بوجهك ويطالبك بالجواز الجديد "الصغير" ويقول لك "ولّي" معناه انقلع باللهجة العراقية. وهنا يقوم بطردي من مديرية الإقامة ويقول لي: "ما عندنا إقامة الك ولي". وبنفس الوقت يكون مخبر عنك المليشيات العراقية ليلقوا القبض عليك فاذا وصلوا وأنت كنت موجود أصبحت بخبر كان. واذا لم يلحقوا يأتوك منزلك بوجبات اعتقال تتم بين فترة وفترة.

في سجون العراق الكثير من السوريين تم اعتقالهم من قبل المليشيات العراقية لمختلف الأسباب. وكان من هؤلاء المعتقلين عمي. في ذلك الوقت داهمت المليشيات منزله حوالي الساعة 3 فجراً 5-16-2005 واعتقلوه لجهة مجهولة وحتى الآن مكانه مجهول بالنسبة لنا. وآخر مرة تمت رؤيته بسجن من سجون وزارة الداخلية العراقية سنة 2007. تهمته الأولى أنه سوري على الرغم من حصوله على الجنسية العراقية ولكن هذه الجنسية لم تحمه من براثن الاعتقال فقد سقطت عنه الجنسية كما سقطت عن كافة العرب الذين منحت لهم بوقت سابق.

بعد الضغط من قبل الحكومات على سورية وافقت السفارة السورية على منح الرعايا السوريين الموافقة على منحهم جوازات سفر لمدة سنتين فحسب غير قابلة للتجديد !!!

وهناك سلسلة من الطلبات لمنحك هذا الدفتر الصغير ومن أهم هذه الطلبات أن تثبت إنك سوري الجنسية. يعني أن ترسل لأهلك من الداخل السوري من أجل مراجعة السجل المدني من أجل " إخراج قيد " لك ويرسلوه من أجل حصولك على جواز سفر. والكثير من هؤلاء عندما يذهبون لمراجعة السجل المدني يتم اعتقالهم ومنهم من اختفى لحد الآن.

ومن نجح بأرسال "إخراج قيد " تأخذه للسفارة وتبدأ مرحلة التحقيقات (كيف تمكنت من جلب القيد؟ من راجع عنك داخل البلد وتمكن من الحصول على القيد؟ كيف دخلت على هذا البلد؟ ماذا تفعل هنا؟). والعديد من الاسئلة دون أجوبة الهدف من كل ذلك يتم إرسالك لسوريا ليتم القبض عليك. وتم هذا الفعل مع صديقي الحموي ببغداد، كان مرحلة ثانية هندسة كمبيوتر وهو نفس وضعي تم خداعه من قبل القنصل العراقي عام 2005 الذي أغراه بالرجوع لسوريا وترك دراسته وأعطاه ورقة ليعبر الحدود السورية. مجرد ما دخول الحدود تم اعتقاله وبعد فترة اعتقال دامت أربع سنوات بين تحقيقات بفرع فلسطين وسجن صيدنايا صدر بحقه حكم إعدام لأن أبوه من الإخوان المسلمين ثم خفف الحكم كإجراء روتيني كان ولازال متبعا ضد أبناء الإخوان بالسجن لمدة 15 سنة وحسبوا له مدة الاعتقال من غير محاكمة وصار الحكم النهائي 11 سنة بعد التخفيف. أطلق سراحه بالثورة بعد العفو الأخير، ولكن بعد ماذا!! بعد دمار مستقبله ورؤية حلمه يحلق أمامه دون وجه حق. هذه إحدى تصرفات السفارة السورية بالعراق والكثير من الشباب وقعوا ضحاياها. تعمل على خطفهم وتسليمهم للمخابرات السورية، والذي لا تخطفه تعامله معاملة حقيرة، أو تبلغ حكومة المليشيات وتدل عليه من أجل اعتقاله أو الضغط عليه من أجل أن ينزل إلى سورية. وكثير من الشباب تم حرمانهم من الجوازات دون أي سبب يذكر، مما اضطر من العائلات السورية التي نجت من تعسف النظام والمخابرات السورية ونجاتها من القتل والاعتداءات للهروب من العراق وبكل تأكيد بالجوازات الكبيرة (القديمة). ولكن المشكلة يجب ن تأخذ موافقة البلد التي ستعبر أراضيها. فالأردن بنسبة 90% ترفض دخولك عبر أراضيها حتى لمجرد العبور فحسب. وإذا وافقت أن تدخل على أراضيها لمجرد المرور يقبض عليك الأمن الأردني ويقيدك مثل المجرمين، ويرافقك لحتى تصل لأرض المطار ويتأكدوا أنك غادرت الأردن. وهناك رعب آخر أن لا يسمحوا لك بعبور الأردن ويقوموا بإعادتك للعراق والجحيم مرة أخرى. وكذلك الأمر بالنسبة للسعودية والكويت ودول الخليج ممنوع استقبالنا. لذلك تضطر للسفر عبر مطار بغداد الدولي. هذا إذا تمكنت من النجاة من الحواجز طبعاً بسلامة.

أتذكر نفسي وأنا مغادر بغداد وأنا مقهور، الضباط عند الحواجز يقولون لي: "لا هلا ولا مرحب فيكم" وأنا حزين تركت دراستي وتركت ذكرياتي بالعراق.

عندما وصلت إلى اليمن ذهبت للسفارة السورية وبعد محاولات جمة لأحصل على جواز سفر وكيفية حصولي على إخراج قيد من سورية، تمكنت من الحصول عليه طبعاً لمدة سنتين غير قابل للتجديد. وعنما انتهت مدته قمت بالكثير من أجل تجديد جواز سفري لمدة شهور حاولت وعندما قاموا بتجديده سنتين فحسب نتيجة لهذه الظروف قررت الهجرة بحثاً عن وطن جديد فلجأت الى أوروبا. أهلي حالياً جوازاتهم خالصة المدة لأن السفارات لم تعد تمنح جوازات سفر وخاصة المولدون الجدد لا يتم تصديقهم من قبل السفارة ومنحهم جوازات بحجة أنهم مكتومين (غير مقيد يعني لا وجود له)، لأن قانون 49 لسنة 1980 ألغى كل الحقوق المدنية وأسقط كل الهويات والحقوق عن كثير من الناس. فالإنسان الذي لا يملك واسطة داخل البلد ولم يكن يملك نقود يدفعها لشخص داخل البلد من أجل الحصول على خانة للقيد لا يحلم بالحصول على جواز سفر. أهلي من الناس الذين دفعوا الكثير من أجل الحصول على قيودنا من دون أن يلفتوا نظر المخابرات السورية.

ها أنا ذا في اوروبا دون وطن، دون عائلة من أجل نظام اضطهد حريتنا وسرق شبابنا وهوياتنا.

خاص للحياة السورية

البيضا...
أرعبت القلب الأسود

كما العروس ترتدي الأبيض ليلة زفافها لتعبر عن نقائها وطهارة الحب داخلها، ارتدت "البيضا" اسمها بلدة تتعشّق الحرية. وليس غريباً عنها وقد كانت من أولى البلدات التي انتفضت بوجه النظام في وقت كانت غالبية المدن السورية صامتة خوفاً من القمع. ما قابله النظام حينها باجتياح أول في شهر نيسان 2011. اجتياح أبكى مآقي العالم الذي شاهد عبر رجال البيضا تداس بأقدام رجال الأمن والشبيحة. منظر غير آدمي استفزّ حينها ما كان متبقياً من ضمير الإنسانية، ما دعا إعلام النظام إلى الادعاء بأن الصور مسربة من شمال العراق في منطقة يسيطر عليها البشمركة الأكراد. "لم تكن أحذيتهم عسكريّة" دليلٌ تذرعت به قناة الدنيا لتخرج البيضا من خارطة الثورة السورية وتبرأ القتلة.

عامان مرا ومازالت صور ساحة البلدة المفروشة بأجساد أبنائها وقامات البغي تتسكع عليهم تتلذذ بوحشيتها الحيوانية، حاضرة في الذاكرة لم تغب. وخلال هذه الفترة غُيّبت البيضا إعلامياً كونها من ريف بانياس. والتي وصفها قائد الشبيحة في الساحل بأنها منفذ الخونة على البحر. لذا كان عليها أن تدفع الثمن أضعافاً مضعفّة. فلا ثائرة في إمبراطورية الساحل "الأسدية".

لطالما شكلت البيضا عبر الإعلام المستبد، نواة لإمارة إسلامية تمتد لتشمل بانياس ومناطق ريفها. لذا وجب تحويلها إلى حديقة عامّة كما دعت إحدى الشبيحات عبر الإنترنت.

وهذا ما حدث، حيث عادت البلدة المنكوبة سابقاً إلى الواجهة بمذبحة تحمل طابعاً طائفياً قذراً في وقت يشهد ريف القصير أعنف الاشتباكات. ما يظهر سعي النظام الجاد مع حلفائه لتطهير ريف حمص الغربي بدايةً والساحل لاحقاً طائفياً، لتدعيم أركان الحلم الأخير في دويلة الساحل العلوية.

ومع توالي المجازر والبكم العالمي أمام ذبح السوريين، تأبى العروس عقب تمزيق ثوبها الأبيض وانسكاب دمها الطاهر على جبين العار الإنساني. تأبى أن تغادرأرضها كي يظل التاريخ شاهداً على بلدة سورية طرطوسية أرعبت القلب الأسود ودقّت فيه مسماراً يعجّل من مصيره المحتوم.

جهاز قياس درجة الخجل
وتطبيقاته على النظام السوري

في نهاية عام ٢٠٠٨، شنت إسرائيل حرباً على سكان غزة دمرت كل عناصر الحياة فيها بمساعدة الرئيس المخلوع حسني مبارك الذي أقام جداراً من الصلب حول القطاع من الطرف المصري؛ إمعاناً بالتنكيل بالفلسطينيين. مغلقاً بوابة العبور مع مصر حتى لنقل الجرحى. مانعاً حتى إنعقاد مجلس الجامعة العربية لمساعدة الغزاويين من الخروج من بين أنياب الفك الإسرائيلي المفترس.

في ذلك الوقت أيها الأعزاء اعتبرت ان حالة النظام المصري - الإسرائيلي وصلت الى درجة اللاخجل المطلق. ليتبين لي لاحقاً أن ما استنتجته كان خاطئاً، إلا أن هذا الخطأ حفزني لتصنيع جهاز بإمكانه أن يقيس درجة الخجل دون أخطاء.

الفكرة بسيطة قلت لنفسي: مادام هناك مقياساً للحرارة، ومقياساً للضغط، ومقياساً للرطوبة. ومقياساً للوزن... حتى الكذب له مقياس. فلماذا لا يكون للخجل مقياس؟

لن نلوم العلماء المتخصصين في صناعة المقاييس لتقصيرهم في ابتكار هكذا مقياس. والسبب أننا لم نكن بحاجة إليه في العهود السابقة فلقد كانت حمرة الخجل على الوجنتين هي المقياس المعتمد في الحكم على الخجل. وهي صفة جينية زرعها الله في طبيعة تكويننا. وهي نعمة منه سبحانه وتعالى. ولكن عندما يكون هناك خلل أخلاقي خطير عند إنسان ما بحيث لاتظهر حمرة خجله على وجنتيه بعد ارتكابه لأشنع جرائم العصر فكيف إذن يمكننا قياس درجة الخجل عنده؟

بناءاً على ذلك كان تصميمي لهذا الجهاز الفريد من نوعه والذي تَعرّض إلى أقسى التجارب على كائنات مخبرية تتصف بأحط درجات الرذيلة والانحراف قبل طرحه بالأسواق فاجتاز الجهاز هذه التجارب بنجاح.

إن هذا الجهاز مدرج من ناقص عشرة وهي درجة اللاخجل المطلق إلى زائد عشرة وهي أقصى درجات الخجل. كنت أعتبر أن جهازي الذي اخترعته صالح لكل زمان ومكان إلا أني اكتشفت خطأً بالتصميم بعد تطبيقه على النظام السوري. فأرجو المعذرة ...

فعندما تدور دبابات النظام القذر في محافظات القطر مئات المرات حتى الآن وهي تطلق حممها على كل ساكن ومتحرك أمام كاميرات العالم. وأكثر من ذلك على مرأى من الأقمار الصناعية لمختلف الدول ثم ينفون وجود دباباتهم في مدننا فإن مقياس درجة الخجل يرفض أن يعمل..

وعندما تلاحق طائرات النظام القذر كل طفل ينتظر رغيف الخبز أمام الفرن لتنهال عليه بصواريخها، فإن مقياس درجة الخجل يرفض أن يعمل..

وعندما تُحشى البراميل ب ١٢٠٠ كغ من مواد شديدة الإنفجار ثم يشعلون فتيلها ويصورون أنفسهم وهم يقهقهون لينزل فوق أحد مستشفياتنا ومدارسنا ثم يتهمون إرهابيين من الأطباء والمعلمين بتفجيرها، فإن مقياس درجة الخجل يرفض ان يعمل ..

وعندما تُطلق الصواريخ من قواعدها قرب دمشق لتسقط في كل محافظات الشمال ثم تُتهم القاعده بفعلها، فإن مقياس درجة الخجل يرفض أن يعمل.. وعندما يُدلق الكيميائي فوق رؤوس سكان أربع محافظات حتى الآن ثم يطالب النظام القذر من أسياده الروس أن يتولوا مهمة التحقيق، فإن مقياس درجة الخجل يرفض أن يعمل...

وعندما تُدنس عناصر من حزب اللات أرض الشام الطاهرة ليقتلوا أبناءنا وأطفالنا بحجة حماية مسمار جحا. فإن مقياس درجة الخجل يرفض ان يعمل...

وعندما يستعمل النظام القذر كل أسلحة الدمار الشامل ضد الشعب السوري ولا يُعتبر ذلك خطاً أحمراً، فإن مقياس درجة الخجل يرفض أن يعمل... وعندما يتخطى النظام القذر الخط الأحمر الذي رسمه الرئيس أوباما بنفسه ويستعمل الكيمياوي ضد أربع محافظات، ويتغافل أوباما عن تحطيم خطه الأحمر ويلجأ بدلاً عن ذلك إلى هرش شعر رأسه، فإن مقياس درجة الخجل يرفض أن يعمل...

يكفي هذا النظام ومعه بعض حكام العرب والغرب ذلاً أنه لايوجد مقياس يقيس درجة الخجل على مقاسهم..

ونحيا بالحروف

~في بلدتنـــا~

في بلدتنا
ذات صباح..
كتب الأطفال بمدرستي
أن حان خلاصك يا وطني
و ليسقط خوفك يا شعبي
و ليسحق حكم الدبابات
في مسجدنا
كشفوا نفقا
يبدأ من حرم العمري..
و يخرج بالمكسيك !!
ينقل فيه "السلفيون" ذخيرتهم
و أعواد التسويك !
أتراه حمارا من صدق
هذا التعليك ؟
في حارتنا
يقتل طفل
تغصب بنت
ثم تصم الأذن..عن الآهات
يردى رجل عشريني
يذبح كهل ستيني
و التبرير..
هو "الإرهاب"..
في بلدتنا
يسحق ورد
بجنازير الدبابات

تقطع أسلاك التيار
و تثقب كل الخزانات...
في بلدتنا حوت..
"قرقع" تنكات المازوت..
ثم تحلى البنزينات..
في منزلنا
تدخل أفواج التحقيق..
مدججة بالروسيات...
تخرق بلوري المكسور..
تنزل من سقفي المثقوب..
و تدهم من كل الفتحات...
تلقي القبض على اللابتوب..
و تعتقل الذهبات...
كيف يعيث الجرم فسادا..
و التحقيق
يطول الكرسي و الكنبات؟!!
في ساحتنا
يحتشد الأحرار جموعا
لا موتا أبهوا...لا جوعا
قد ملو ذا العيش خنوعا
و تهاوى الخوف من الصيحات..
لن يهزم شعب خير
بين بلوغ النصر..
و بين العيش
بأرياض الجنات...